فـــن الكاريكاتـــير فـــــن الفكاهـــة الصامتـــة والفكـرة الهـادفـة فـــي تاريـخ الحضــارات المختلفــة

د. محمد مفتاح محمد مفتاح ـ كلية التربية العجيلات – جامعة الزاوية

الملخص:

يتضمن البحث نبذة عن الفن وعن الإنسان القديم وما تركه لنا من رســـوم ورموز على جدران الكهوف وسفوح الجبال، ثم تطرقنا لتعريف الكاريكاتير باتجاهاته المختلفة ، وفي المراجع والقواميس العالمية ، وتتبعنا تاريخ تطـــوّر فن الكاريكاتير في العصور المختلفة ، بِدْأ من عصر ما قبل التاريخ حتى عصرنا الحاضر وقد توصلنا من هذا خلال البحث إلى نتائج ثم توصيات واختتم البحث بملخص عام للبحث فمراجع البحث

مقدمـــــــة :

قد يخطئ بعضهم أحياناً من يظن أنّ هدف الفـــــن مجرد التسلية والترفيه ومداعبة مشاعر الآخرين، أو مجرد الزينة والتلوين والتجميل، فالفن رسالة أسمى من ذلك بكثير، وأن دوره كبير في الكشف عن النفس البشرية ومعانيها الإنسانية، وأسرارها البعيدة، والنفاذ إلى أعماقها الدفينة، إنه تعميق وتأكيد للشعور بالحياة، والتوصل إلى ما هو خفي من المشاعر والعواطف والأحاسيس، فالفن ينمي معرفة الإنسان بنفسه، وإدراكه للحياة من حوله، وتمكينه لحل المشكلات التي تطرأ من حوله بين الحين والآخر.

إن الفن أساسه حلماً ظل يراود البشرية منذ الأبد، وسيظل يراودها إلى ما لا نهاية، حلم الالتماس مع المطلق، ومع ما وراء الواقع اليومي، وإن ظل حلماً يضرب جذوره في الحياة بكل واقعيتها العميقة.

ومما لا شك فيه أن قدرات الإنسان الخلاقة المبدعة ينميها الخيال الخصب، فالتأملات والخيالات هي التي مكنت الإنسان من أن يحس بكل ما يجري من حوله في العالم الخارجي من تغيرات وأحداث ونقائض وعيوب المجتمع الداخلي ؛ لذا نشأ ما يعرف بفن التعبير عن النفس ، أو الفن المشاكس الناقد لعيوب ومهاترات المجتمع الإنساني الثائر على كل ظالم، واقفاً بالمرصاد له عن طريق الرسم المنشور في الجرائد والمجلات والدوريات وشتى وسائل الإعلام المختلفة .

ففي حياتنا المعاصرة يلعب فن الكاريكاتير دوره الرئيس في هذا المضمار فيعطي مساحة من النقد الهادف البنّاء، والجمال والذوق والأناقة والترفيه لكل ما يدور في حياتنا

اليومية من أفـــراح ومآسي وأحزان، فأصبح صفة أساسية لمواجهة التعدد والتباعد والاتساع والظلم والقهر والاستبداد، وعيوب المجتمع ممن يقعون خارج دائرة الوفاء والأصالة والأخلاق.

ففن الكاريكاتير معروف بمهمته ورسالته المتعددة الجوانب الإيجابية منها والسلبيـــة ، فهو يكشف لا يستر كمعظم الفنون ، وهو معروف بنقده للواقع وللحياة اليومية بكل تفاصيلها، وليصبح بذلك تعبيراً اجتماعياً ونفسياً واقتصادياً وسياسياً في آن واحد، حيث يجد فيه المشاهد متعة خاصة عندما يعبر عن قضايا معايشاً لها، والأهـــم من ذلك أن يلقى فيها المتلقي ذاته ، فيتأملها كما يتأمل صورته في المرآة .[1]

ولقد كان لحساسية الفنان في عصرنا الحديث مستمداً من التاريخ القديم والحضارات الغابرة، متأثراً بها في طرق التعبير ووسائل الإفصاح عن الرأي مستخدماً الرمز الذي يمثل جانباً أساسياً في فن الكاريكاتير مخاطباً الجماهير العريضة.

وهكذا فإن الفن الساخر " الكاريكاتير " سلاح ذو حدين ، فهو يضحك ويطرب بعضهم ، ويسخر ويغيض بعض الآخرين ، ولكن دائماً يرمي إلى الإصلاح والتعمير، ونبذ القبـــح والتعالي والتدمير، وهذا ما سنلاحظه في الحضارات المختلفة من خلال سردنا لهذا البحث بإذن الله .

مشكلة البحث :

عند نشـــأة فن الكاريكاتير كان في الأصل تعبيراً بصرياً ، ولم يكن يحتـــوي على أي تعليق أو كتابة لإيصال الفكرة لعقل المتلقي ، مما كان يستلزم إطلاق مخيلته لاستيعاب الفكرة وبما توحي له من مضامين .

ومع ظهور الصحافة أخذت الكلمة المكتوبة تتســـلل إلى تلك الرسوم لتكون عوضاً عن التعبير المجرد ، حتى وصل الأمر إلى طغيان الكلمة المكتوبة على الخط المرسوم وفقدت بعض الأعمال الكاريكاتيرية قيمتها التعبيرية واكتفت بقراءة التعبير أو التعليق ، فمن المفترض أن يكون الرســـم هو الأساس في التعبير عن الفكرة وليس الكتابة عليه ، حيث إن تعريف الكاريكاتير يعني : " الرسم الساخـــــر " أي: أن الرسوم وحدها هي التي تتحدث عن الفكرة وليس التعليقات المكتوبة حول أطرافها.

وبذلك فيجب أن يكون الرسم الكاريكاتيري في أساسه رســـوما واضحة المعالم، ولا داعي للنص المكتوب .

كما تكمن مشكلة البحث في أن بعض الأعمال الكاريكاتيرية فقدت قيمتها التشكيلية التعبيرية ، ومن هنا تأتي الدعوة للعودة إلى أصل التعبير الكاريكاتيري ، الذي يعتمد على الرسم والقيمة التعبيرية .

وتتمثل مشكلة البحث - أيضاً - في متابعة الكاريكاتير للأحداث والقضايا المختلفة لحظة بلحظة ؛ لتأكيد دوره الإيجابي والفعال في لفت أنظار المسؤولين للخلل الذي يحدث ودعوتهم لمعالجته وإصلاحه.

أهمية البحث:

1-تتركز أهمية البحث في التعريف بفن الكاريكاتير ودوره الاجتماعي.

2-اطلاع الفنانين الناشئين على أهمية فن الكاريكاتير وتوجيههم إلى خوض غماره، وتنمية هواياتهم في هذا المجال الفني التشكيلي.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

1-تتبع التطور التاريخي لفن الكاريكاتير في الحضارات المختلفة.

2-التعرف على بعض السمات الفنية لفن الكاريكاتير.

3-التأكيد على أهمية فن الكاريكاتير في علاج بعض قضايا المجتمع.

4-محاولة تقديم صورة مقربة وحقيقية لقيمة الرسم التعبيري في فن الكاريكاتير.

5-توجيه الجيل الناشئ من الفنانين إلى أهمية التعبير في أعمالهم بالرسم المشحون بالفكرة الهادفة.

فروض البحث:

يمكن تحديد فروض البحث في النقاط التالية:

1-رسوم الكاريكاتير ذات وجهة وطبيعة خاصة.

2-رسوم الكاريكاتير وعلاقتها بالجوانب الاجتماعية.

3-يعد الكاريكاتير فناً مشاغباً ذا وجهة نقدية ساخرة حتى في تناوله أشد الأمور جدية أو مأساوية " فن المأساة الضاحكة " أو " شـــــر البلية ما يضحك ".

4-فن الكاريكاتير فن جماهيري محبوب للعامة من كافة المستويات الاجتماعية والعمرية والثقافية والفكرية .

حدود البحث :

- الحدود الزمنية: يتطرق الباحث بنظرة عامة على تطور فن الكاريكاتير عبر العصور مع التركيز على الفترة من نهاية القرن التاسع عشر حتى الآن.
- **الحدود المكانية**: عابر حدود ليبيا والوطن العربي عامة.
- **الحدود الموضوعية**: التركيز على الفن الساخر كأحد الفنون التعبيرية والتشكيلية عامة.

منهج البحث:

يعتمد الباحث على المنهج التاريخي في تتبع نشأة فن الكاريكاتير وتطوره.

مصطلحات البحث:

1-الشَّـــــكل : هو النموذج الذي يبرز العناصر الأخرى، والشكل هو الشيء المحدد بخط خارجي ويوحي الشكل بعنصر معين أو شيء معين سواء في الطبيعة أم في الخيال. (2)

2- الـرَّمـــز : هو تجريد وتبسيط للواقع من صورته المألوفة إلى هيئة تشخيصية أحياناً أو طبيعية تحمل الملامح الأساسية للعنصر المراد التعبير عنه عن طريق المتشابهات ، والرمز قد يكون شكلاً أو رسماً أو إشارة تحمل معنى اصطلاحياً .(3)

3-الفـــــن : هو الشـــيء الذي يسعى إلى تبديل وجه الأشـــياء أو تغيير وظيفتها. (4) وقد عرف (ماركـس) الفن بأنه : أسمى درجة من درجات الفرح. (5)، وأما (ســقراط) فقد عـــرّفه بأنه : خلق إيجابـــي للموجودات الطبيعية ، وعرَّفه (أفلاطون) بأنه : إلهام من عند الإله عالم المثل لمن عكف على التأمل (6)

4- الجمـــال : يقـــول (توما الأكويني) : "إن كل ما يســـرنا عند إدراكه ندعوه جمالاً . (7) . والجمال هو قيمة إيجابية نابعة من طبيعة الشيء ذاته . (8)

5- القيـــمة: القيمة تطلق على كل ما هو موجود جدير باهتمام المرء وعنايته لاعتبارات اقتصادية أو سيكولوجية أو اجتماعية أو أخلاقية أو جمالية ، وقيمة الشيء من الناحية الذاتية هي الصفة التي تجعل ذلك الشـــيء مطلوباً أو مرغوباً فيه عند شخص أو عند طائفة من الأشخاص . (9)

الإطـــــار النظـــــري للبحث :

آفـــــاق الفـــــن التشكيلـــــي : إن الفن كلمة جامعة لعديد من النشاطات والأفعال الإنسانية ، وهي بصفة عامة صفة التعبير الوجداني ، وهي الخاصة الجوهرية التي

تتميز بها طبيعة الفن الروحانية باعتباره أهم عنصر من عناصر الحضارة الإنسانية. (10)

ومقدار التقدم العلمي والتقني الذي يتمتع به شعب معين في حقبة من التاريخ. (11)

كما أن الفن هو المرآة التي تعكس الواقع المحيط عبر العصور ، وتجسّـــد ما يحمله ويكنه من مشاعر معنوية ومادية مستعيناً بقاموس الطبيعة ، مستفيداً بموادها ولكن بطرق واتجاهات مختلفة منذ نشـــأة الإنسان على الأرض وحتى عصرنا الحاضر مهما تعددت المعاني وتباينت المسميات ، ولكن جميعها تحوي معنى واحداً بين طياتها ، وهي تعبيرات كاملة داخل الجنس البشري ، فالفن " ليس محاكاة ؛ ولكنه خلق وبناء " ، والطبيعة لا تعطينا بناء الأشكال ولكنها تعطينا العناصر التي نستوحي منها هذا البناء ، كما أكـــد ذلك المصدر (ديلاكروا) : أن الطبيعة قاموس وليس كتاباً، وأنها مواد وليس بناء . (12)

كما أننا لا نستطيع أن نحدد تاريخ أو وقت بذاته لبدايات ظهور الفن التشكيلي، إذ نشأ الفن التشكيلي مع الإنسان منذ أن بدأت الحياة الإنسانية. (13)

إن نشأة الفن التشكيلي لا يمكن استيعاب أبعادها الحقيقية الكاملة دون معرفة نشأة الإنسان نفسه، إذ توشك النشأتان أن تكونا نشأة واحدة وليس هذا على سبيل المجاز ؛ بل على سبيل الحقيقة التاريخية. (14)

فمنذ أن نشأ الإنسان القديم على الأرض شعر بالخوف والقلق تجاه قوى الطبيعة وظواهرها المختلفة يتكللها شغفه المستمر وحب التطلع للجديد، وكان من الطبيعي أن يبحث الإنسان عما يعينه على إزالة التوتر والخوف أو تخفيفه، وهذا لضمان استمراره وبقائه على الأرض، وهذا ما يؤكده علم النفس، حيث إن الكائن الحي يميل بطبعه إلى خفض ما يعانيه من توترات إلى أقل حد ممكن ، وذلك بأن يقوم بسلوك من شأنه إزالة هذا التوتر وتخفيفه . (15)

وفي هذا الإطار تأتي الفنون الحديثـــة بالفن الساخـــر كأحد الفنون التي تعبر عن الواقع والمجتمع وناقده له بطريقة فكاهية مشوقة ، وقد دخل الصحافة من أوسع أبوابها ، فقد تناولها الصحفيـــون في الصحف والمجلات وبعض الكتب كفقرة وجانب مسلي ومشوق يحمل في مضمونه فكرة مختزلة داخل الشكل .

فاستعان الإنسان القديم بتسجيل الواقع والظواهر المحيطة به على جدران الكهوف والقبور والأواني وغيرها من الأدوات التي يستخدمها في حياته اليومية تسجيلاً لفكره

ومعتقداته باحثاً في ذلك عما يزيل أو يخفف معاناته والتي كانت فيما بعد بمثابة وثائق تاريخية نقلت لنا فكر الحضارات السابقة.

ومن خلال ما أوضح به الإنسان القديم على جدران الكهوف والقبور نقل لنا بشكل عفوي مجال من أهم مجالات الفن التشكيلي وهو فن التصوير، ففن التصوير من أوائل الفنون الجميلة التي اختارها الإنسان منذ فجر التاريخ للتعبير عن مكوناته، وما يدور في خلجات نفسه . (16)

ويعد فن التصوير مصدراً مهماً من مصادر نقل التراث وثقافات الحضارات السابقة بخلاف المجالات الأخرى ، فمن خلال هذا الفن وقع الفنان القديم فكره على الطبيعة وما يدور حوله ممزوجاً بروحه العفوية الفطرية في التعبير عن مشاعر الخوف والقلق من المجهول ، فسجل لنا أهم الثقافات التي اتسمت بها العصور القديمة.

والمتتبع للفن عبر العصور يجد اختلافاً للأذواق لدى الأفراد والجماعات وتطلعهم إلى ما هو جديد الذي يخلق الإحساس الدائم برفض القديم والبحث عن الجديد، وهكذا في الأجيال المتعاقبة، فنشأت مفاهيم عدة ممزوجة بروح الفنان وخياله، ومحاولة منه لبث المشاعر المكبوتة جراء الظروف الاقتصادية والسياسية والتطورات العلمية التي سادت في هذا العصر؛ ليصبح العمل الفني قادراً على التحدث عن ذاته.

وبذلك فقد تغير مفهوم (الفنون الجميلة) إلى مصطلح أكثر تعقيداً وهـــو (الفنون التشكيلية) وتغير مفهوم الفن بمعناه التقليدي إلى أقصى حد ، فظهر الفن تحت مسماه الجديد (الفن الحديث) مواكباً أوضاع هذا الفن الجديد سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم علمية، وهذا يتفق ورأي (هـــارتمان) أن الحداثة فـــي الفـــن رؤية للواقع مواكبة للتقدم العلمي نتيجة للعملية القيادية التبادلية بين الإنسان والبيئة وتغير مدركاته. (17)

تعريف الكاريكاتير وفـــق الاتجاهات المختلفة :

تباينت التعريفات المختلفة للكاريكاتير بشكل كبير مما أحدث خلطاً بينه وبين الفنون الأخـــرى وبشكل أدّى إلى التشابه والتداخل في مسمياته، وكان لقلة الدّراســـات والبحوث في هذا المجال سبباً من أسباب هذا الخلط ، وبهذا يمكن تعريف فن الكاريكاتير باتجاهاته المختلفة كالآتي :

1- الاتجاه اللغـــوي : إذا بدأنا بالتعريفات المعجمية المقبولة سنجد أن تعريف " الكاريكاتير" لا يتناول كلمة واحدة وإنما يتنازل كلمتين "الكاريكاتير" و "الكارتون" ويمكن توضيح الفرق بينهما من خلال التوضيح التالي :

أ- قاموس اكسفورد الانجليزي : - كاريكاتير " اسم " (Caricature) .

1- تصوير غريب شاذ مثير للسخرية للأشخاص أو الأشياء عن طريق المبالغة في ملامحهم الخصائصية البارزة .

2- صورة بها مبالغة في الملامح الأصلية الخصائصية محدثة أثراً.

- كاريكاتير " فعل " :

1- رسم غريب للأشخاص أو الأشياء .

2- رسم ساخر أو محاكاة ساخرة .

- كارتون " اسم " (Cartoon) : تصوير يملأ الصفحة في جريدة أو دورية وخاصة في الصحف الكوميدية المتعلقة بالأحداث الجارية .

- كارتون " فعل " :

رسم كاريكاتيري يعرض للسخرية والاستهزاء .

ب- قاموس تشامبرز " Chambres " و " كولنز " (Colones) : ويحذو حذو قاموس " اكسفورد " إلى حدّ بعيد إلا أن كليهما أقل تشـــدداً أو تمسكاً بضرورة أن يمثل الرسم صفحة بأكملها ، ويؤكد كلاهما أن هذه الرسوم لابـــد أن تتعلق بموضوعات الساعة .[18]

ج- الموسوعة البريطانية : تعرف الموسوعة الكاريكاتير: بأنه صورة مشوهة للتعبير عن شخصية أو حدث أو سلوك معين، كما يقدم فيه الشخص المرسوم عادة في صورة ساخرة وظريفة، وكلمة كاريكاتير مشتقة من الفعل الإيطالي " Caricute " ، والذي يعني " To Load " أو يحمل شيء أكثر من طاقته وحجمه الأساســـي ، وينشر على عموم الناس " .

ويعرف الكارتـــــون بأنه : " رسم بالحجم الكامل، وهو نموذج تنفيذي يستخدم فيه الرسم التصويري أو التطريز أو الموازيك، والكارتون كان في البداية المرحلة النهائية في سلسلة الرسوم التحضيرية " الاستكشاف " وكان هذا في عصر النهضة الأوروبية .[19]

د- الموسوعـــــة الأمريكيـــــة " Encyclopedia Americana " :

الكاريكاتير في الفنون التصويرية هو تمثيل لشخص أو لنمط من الأشخاص مبالغ في ملامحهم ، والمصطلح مشـــــتق من الكلمة الإيطالية " Caricatura " يشحن أو يهاجم ، وينطبق- أيضاً - على أعمال فنـــــون أخـــــرى ، ولكن في الغالب – فكاهة أو هجاء وسخرية .

ويعتمد الكاريكاتير من حيث تأثيره على التناقض مع أصل يمكن التعرف عليه وعلى التشويه أو التبسيط الذي يعكس وجهة نظر الفنان ، ويطلق في العادة على الشخصية الرئيسية في الموقف ؛ ولأن المبالغة في الملامح الانسانية – تكون في العادة – غير ودية ، فإن الكاريكاتير ينصرف إلى استخدامات هجائية – وتعرف الكارتـــــون : أنه رسم تشخيصي أو رمـــــزي يعبر عن رأي هجائي ساخـــــر ، وقد يكون مصحوباً بتعليق أو لا يكون ، وقد يتكون أكثر من لوحة ، وعادة تظهر هذه الرسوم في المطبوعات الدورية، وهي تستهدف في-الغالب - العادات الاجتماعية والشؤون السياسية أو الوقائع الرياضية وهجاء الأشخاص ونقدهم ، والكارتون بمعناه الأصيل هو: " الاسكتش التمهيدي " للرســـم على القماش أو لوحة أو رســـم معماري ، أو صورة فسيفساء .[20]

هـــ - الموسوعة العالميـــــة Americana : Americana : تعرف الكاريكاتير بأنه مشتق من الكلمة الإيطالية Caricure ، ومعناه يشحن أو يحمل فوق طاقته ، وهو التعبير الأوضح عند السخريـــــة في فن الرســـــم الجرافيكـــــي Le Graphisme أو الرسم بالزيت أو حتى النحت .[21]

موسوعة " لاروس " Grand L`aroussee encyclopedia : تعرف الكاريكاتير بأنه : رسم فكاهي مشوه بالمبالغة المتعمدة، وبقصد هجائي ساخر لأي ملامح مميزة للوجه أو لأبعاد الجسم .[22]

- تعرف بعض القواميس اللغة لفظ " كاريكاتير : بمعني Caricature = joke بمعنى "مبالغة هزلية " .[23]

- كما أن لفظة " كاريكاتير " تعني : رسم أو فن الكاريكاتير Caricature أو صورة هزلية ساخرة .

- ولفظة كارتون Cartoon بمعنى صورة متحركة أو رسم يؤلف فيلما، وهذا تصنيف حديث للتعريف .[24]

- أما قاموس " المورد القريب " (كاريكاتير) بنفس المعنى السابق و " كارتون " Cartoon بمعنى : رسم كاريكاتيري .[25]

- لم يرد ذكر تعريف " الكاريكاتير " أو الكارتون في العديد من قواميس اللغة العربية ؛ لأنها كلمة ليست عربية (المصباح المنير – المنجد – العرب – مختار الصحاح) .

2- الاتجاه الفلسفـــــــي : اختلف كثير من الفلاسفة حول فلسفة الضحك، فعلى حين ينظر بعضهم مثل (هنري برجســـون) (على أن الضحك مصدره الطبيعة) .[26]

كما أن آخريـــن يرون أنه ليست هناك مصادر للهزل في الطبيعة وإنما المصدر الوحيد للهزل كان كامناً في الشخص الضاحك نفسه، ويتفق هذا الرأي- أيضاً - مع رأي الشاعر الفرنسي (بودلير) حين قال : أن الهزلي أو ما يمتلك القدرة على إضحاكنا ، إنما يكمن فـــي الضاحك نفسه ، لا في موضـــــوع الضحك بأي حـــال من الأحوال .

3- الاتجاه النفسي : إن ظاهرتـــي الفكاهة والضحك يمكن إخضاعها للتقسيم الكلاسيكي للحالات الشعورية من (إدراكية) و (وجدانية) و (نزوعية) وقد اهتم بعض الفلاسفة وعلماء النفس بالعناصر الإدراكية في ظاهرة الضحك مثل (المفارقة – التباعد بين الأفكار – الخداع العقلي) ومن المفكرين الذين اهتموا بهذا الجانب " كانط " و " شوبنهاور " أما الجانب النزوعـــي في ظاهرة الضحك فإنه يرتبط بإشباع بعض الرغبات في التفوق والاستعلاء – أو الغـــرور، ومن أهم عناصـــرها (المحاكاة – التنكر – الثورية) ، ومن أهم المفكرين الذين ركزوا على ذلك " (أفلاطون) ، و (هبـــز) .

وفي الجانب الوجداني ركّـــز بعض المفكرين على ربط الضحك بالمقومات الانفعالية المصاحبة له فمزجوا بين الضحك وبين الســـرور الخاص أو السر الممتزج بانفعال آخـــر كالخوف أو الغضب مثلاً، ومن هؤلاء المفكرين العلماء (ديكارت) و (ماكدوجال) .

وبذلك ترتبط الفكاهة (Humour) بالجانب الوجداني ، والنكتة (Wet) بالجانب النزوعي ، والكوميديا بالجانب الإدراكي ،[27] وبالتالي فالضحك يفترض دائماً وجود الآخر الذي سخر منه أو هزأ به أو تعاطف معه أو اشترك معه شخص ثالث في السخرية [28]، وعلاقة الكاريكاتير بالعمليات العقلية والنفسية – سالفة الذكر – قوية وقائمة على التأثر والتأثير، فبينما الكاريكاتير هو أداة لفعل من شأنه خلق الموقف الضاحك الذي ينتقص من الآخرين فإننا نجد الكاريكاتير – في أحيان أخرى – رد فعل لعدم القدرة على مواجهة الآخرين، أو الخوف الناجـــم من عـــدم القدرة على مواجهتهم .[29]

وبالتالي فالكاريكاتير هو مساحة من الخيال يمتزج فيها الواقع الحقيقي بالوهم، ليظهر على قدم المساواة بالتشوية وتغيير موضع التركيز، وغالباً ما يلقى الكاريكاتير عن طريق الفكاهة بقناع على الحرج الذي يلازمنا عند مشاهدة ما هو مشوه أو ساخر، وينزع الجزع الناشئ عن مخاوفنا بواسطة الهزل.

ويؤكد ذلك تراث السخرية والممسوخين في أساطير الميثولوجيا القديمة والمخطوطات المبكرة وقصص الحيوان في العصور الوسطى وكل ما كان منها من

ملامح جميع الفنون والأديان، وكل هذا مألوف في أعمال (ليوناردو دافنشي) و (جويا) ، حيث تظهر الجوانب الفكاهية في التعبير والحركات " .[30]

والكل أمام الكاريكاتير يخشاه ؛ لأن الضحك يفصل ويعزل ويتحدّى ، والكل محتاج إليه من جانب لآخر؛ لأن الضحك يريح ويجرد من الأسلحة .

وكما يرتبط الكاريكاتير بأنه لغة كونية ووسيلة للعدوان والانتقاص من جهة أو رد الخوف من جهة أخرى فإنه يرتبط بوجود هدف محدد المعالم يجعله مجالاً لسخريته ، أو سبباً للخوف ، ورسام الكاريكاتير بالرغم من أنه يعري وجود المستبدين، ويهاجم حتى النهاية كل طاغية إلا أنه في النهاية أسير قيود سياسية ورقابية ومجتمعية .

وعلى هذا يمكن أن نحدد الكاريكاتير على الاتجاه الفلسفي والنفسي على الآتي:

1-التشويه والمبالغة.

2-الضحك كتأثير يحدثه هذا التشويه والمبالغة.

والتشويه لا يحدث إلا بناء على تصورات وبناءات مسبقة عند الرسام وهو هجوم الذي قد يكون هجوم الجمال أي: بمعنى هجوم تجميلي على ألا جمال في الطبيعة، أو هجوم الكاريكاتير الذي هو هجوم تحقيري ساخر على طبيعة ألا جمال.[31]

4- الاتجاه التكنولوجـــــي والفنـــــي : يرتبط هذا الجانب بتطور الطباعة ، وتطور حركة الفن التشكيلي فالرسم المطبوع يعتمد على تعدد النسخ ، وحتى بداية القرن الخامس عشر لم تكن هناك وسيلة للتصور ، وكانت الموضوعات الدينية مضموناً للرسوم المطبوعة، ففي سنة 1420 م لاصنع الهولندي (لورنت كوستر) مطبوعة لطبع الألواح الخشبية المحفورة ، ثم جاء (جون تنبرج) عام 1456 م بمطبعته الشهيرة، وكانت أزمة المائتي سنة الأخيرة من القرون الوسطى (1280 – 1480 م) فرصة واضحة لطابعي الرسوم بعد أن نشأ جمهور جديد من البرجوازية ، يهمهم أن يهاجموا عناصر المجتمع الإقطاعي القديم ، حتى أن الأدب الشعبي في القرن الثالث عشر قد بدأ يتضح بالكثير من الأفكار الثورية والاجتماعية مثل خرافة " استيولا " التي تبرر السرقة كوسيلة لإعادة توزيع الثروة .[32]

ثم كانت التطورات الطباعية المختلفة عاملاً مؤثراً على الكاريكاتير بدأ من الطبع على الحجر عام 1798 م إلى اختراع الكاميرا ، أو تطور فنون الحفر، وإمكان رسم الكاريكاتير على الأصل الورقي ، وكل هذا أدى إلى خمس نتائج أساسية للكاريكاتير على الاتجاه الفني وهي كالآتي :

1-الميل إلى التحرر من قيود الأدوات التقليدية باستخدام أدوات ذات خطوط متماثلة لا يتغير سمكها.
2-استخدام الوسائل الصناعية في الزخرفة والتضليل.
3-استخدام الكولاج والفوتومونتاج .
4-ظهور أقل الخطوط المطبوعة – ثقلاً وسمكاً – بوضوح، مما دفع الرسام إلى استخدام هذه الدرجات من سمك الخطوط .

كما أدى تطور الطباعة إلى ما يأتي:
1-تحقيق الانتشار عن طريق المطبوعات اليومية الاخبارية، وهو ما جعل الكاريكاتير ملتصقاً بالأحداث الجارية في حالات كثيرة.
2-زيادة شعبية الكاريكاتير الذي يوصف بأنه أكثر الفنون المرئية شعبية وديمقراطية.
3-ترسيخ مفهوم الكاريكاتير كفن عالمي كسر حواجز اللغة، بحيث نزع إلى التصدي إلى هموم البشرية عامة .
4-استخدام الكاريكاتير بدرجات تتفاوت بتفاوت التقدم الذي أحرزته الطباعة السياسية والاجتماعية، فكلما زادت امكانية الإكثار من نسخ الرسم الكاريكاتيري زادت انتشاريته وفاعليته .[33]

أما تطور الفنون التشكيلية فإنه كان عميق الأثر على الكاريكاتير من حيث الشكل وقد شمل ذلك التطور الانتقال من الكلاسيكية إلى الرومانسية ثم الواقعية والتأثيرية حتى أواخر القرن التاسع عشر وظهور مدارس الفن الحديث من تعبيرية (Expressionism) ووحشية (Faurism) وتكعيبية (Cubsim) وحركات مثل الدادية (Dadism) والتجريدية (Abstract) .[34]

فمنذ ذلك والعلاقة قائمة وجدلية بين رسامي الكاريكاتير والفنانين التشكيليين، بل إن الصنفين قد يجمعهما فنان واحد، وكان ذلك لدى الفنان (بيكاسو) و(فرانشيسكو جويا) (Gsya) حتى أن بعض أعمال (بيكاسو) يمكن أن تقف جنباً إلى جنب مع رسوم الكاريكاتير الصرف مثل تلك التي رسمها في الخمسينيات لمجلة " فيرف " حيث استعمل تقاليد الكاريكاتير في رسومه لكيوبيد " إله الحب " يرتدي قناع رجل عجوز له أنف كقضيب حديدي يهدد فتاة شابة .

وفي المرحلة الوردية لـ : (بيكاسو) نفّـــذ العديد من الأعمال الكاريكاتيرية عن السيرك فتناول (بيكاسو) في هذه المرحلة حياة السيرك والحيوانات المصاحبة وكذلك الرقص (The Dence) عام 1950 م ، وكان يقوم بتحريف نهايات الأشخاص بشكل

كاريكاتيري ، وحركات راقصة في سخرية واستهزاء في خطوط قوية منفذة بطريقة الحبر الجاف على المعدن .

وأنتج (بيكاســـــو) مجموعة كاريكاتيرية تسمى " Vollard Suite " عام 1930-1936م مستخدماً الحيوانات ذات الأجسام الأدمية بطريقة وحشية معبراً عن أفكاره وعن نقاض مجتمعه الذي تناوله بالنقد، وكانت هذه الرسوم تمهيداً للمرحلة التكعيبية التي أسسها هو و(براك) وكان للحرب الأهلية في إسبانيا أثرها عليه ، فعبر عنها بلوحة " الجورنيكا في تحريفة للأشكال وخروجه عن المألوف بطريقة تكعيبية، كما نجد أيضاً في رسم له سنة 1932 م يصوّر ثوراً يرمز به إلـــى الملك (فرانكـــو) ذا أيدٍ قوية يبطش بالشعب الإسباني فـــي استبداد ووحشية ، وفي مقابله تقف طفلة تحمل باقـــة من الزهور وشعلة تبشر بالأمـــل والنور ويقظة الأمة في ضمير الخونة الغائب ، وفي حركة درامية ووزع الأضواء على الحصان والأنثى المحمولة على ظهره في مواجهة ذلك الظالم المستبد الغاشم .[35]

وكان للفن الحديث- أيضاً - أثره على القراء أن يطالعوا رسوماً كانوا ينظرون إليها – قبلاً – على أنها لا معنى لها ، بصورة أوسع في عمل رسام الكاريكاتير، ويمثل هذا بشكل كامل رسوم الكاريكاتير الذي يقدمها (جيرالد سكارف) Gerald Scarfe " وتعبر رسومه الكاريكاتيرية عن الاتجاه الوحشي، ولقد صور (نيكسون) "Nixon" في وضع خجول على أثر فضيحة " وترجنت" Waterget سنة 1973 م حيث أقنعه محاموه بأنه على حق وليس متورطاً فيها ، وبعد ذلك علم بأن الكونجرس أقاله بالقوة ، ويعبّر الرسام عن ذلك بإطلاق نيكسون النار على أفكاره ومبادئه من خلال بندقيته مكتوب عليها أسماء مساعديه ومورطيه في الفضيحة .[36]

ولقد أثر تطور الفنون التشكيلية على الكاريكاتير المصري بشكل عام – وهناك من الرسامين المصريين من يجمع بين صفة الفنان التشكيلي ورسم الكاريكاتير مثل " عبدالسميع عبدالله ، وجورج البهجوري ، و إيهاب شاكر ، و مصطفى حسين – ويمكن إجمال أثر تطور الفنون التشكيلية على الكاريكاتير في الآتي :

أ-استطاع الكاريكاتير أن يكون معبراً عن أساليب مدارس الفن الحديث ويوظفها في خدمة أغراض فن الهجاء والسخرية ، على حين كان الكاريكاتير جزءا من الشكل العالم الذي أدّى إلى ظهور مدارس الفن الحديث ذاتها، لتحطم هذا العالم المليء بالحروب والمآسي المضحكة ، وتعيد تشكيله من جديد.

ب- استطاع الكاريكاتير نتيجة لانتهاجه منهج مراحل التطور في الفن التشكيلي أن يطرق موضوعات جديدة غير لصيقة بالمجال الإخباري لكنها تنزع إلى تأمل الإنسان لنفسه والسخرية من عالمه.

ج- استطاع الكاريكاتير أن يجد - أيضاً - في مـــدارس الفن الحديث مادة للســـخرية المرة من هـــؤلاء الذين يحطّمون العالم ، ولا يستطيعون بناء مثله وتجميله مـــن جديد.

5- الاتجاه الاتصالي لتعريف الكاريكاتير: الكاريكاتير كعملية اتصالية متكاملة لها هدف محدد وهو إحداث التأثير في المتلقي في خمسة جوانب:

1-إثارة ردود فعل قوية لدى المتلقي.

2-تثبيت بعض الصور الكامنة لدى المتلقي أو العكس.

3- تعديل الاتجاه السلوكي لدى المتلقي .

4- التنفيس بحيث لا يتكون لدى المتلقي تراكم في فترات الرفض لظاهرة سياسية أو اجتماعية معينة.

5-إثارة الرغبة في الضحك والسخرية لدى المتلقي. (37)

وفن الكاريكاتير بمفهومه الاتصالي يختلف عن بقية الفنون حيث يتناول أدق الأمور وأبسطها الشاملة لمختلف الأحداث التي تمر بالمجتمع، شرحاً للنفس البشرية، ومحللاً للمواقف المختلفة، وحيث أن الحدث الواحد يتناوله عدد كبير من الرسامين كل واحد منهم له تحليلاته وآراؤه في هذا الحدث، بل إن الرسام الواحد ينظر إلى الموضوع بزوايا مختلفة مسجلاً هذه الرؤية من خلال ما يقدمه من رسوم.(38)

وقد انقسم فن الكاريكاتير في العالم إلى معسكرين، منهم من تصدى لقضايا حياته اليومية متتبعين ما يجري من أحداث سياسية في العالم، والقسم الآخر تصدى لقضايا كبرى ثابتة نسبياً مثل الحرب الباردة بين المعسكر الشرقي والغربي، وقضايا حقوق الإنسان والتسليح النووي، والمجاعة والحروب ... الخ .(39)

فالفن الجميل بما فيه الصورة الكاريكاتيرية لا يفقد بالزمن قدرته على إثارة البهجة في نفس وفكر الذي يتلقاه، فالتجميع على شكل أعمال كاملة أو مختارات يعطي تجميع الصور، وتعطي المفاهيم التي يتبناها والرؤى التي يؤمن بأبعادها الحقيقية الكاملة، فالسخرية التي تنفجر من روح حساسة وعقل مفكر تظل قادرة على النفاذ عبر الزمن، وتحتفظ بقدرتها على أن تمنحك البسمة التي تغسل الروح. (40)

ففنانو الكاريكاتير هم أصحاب مواهب أصيلة، وأساليب متميزة، وجرأة بلا حدود، لقد صنعوا بأساليبهم المتعددة الاتجاهات عصراً آخر غير عصر الفنان الشامل.

نبذة تاريخية عــن فـــن الكاريكاتيـــر:

1-الكاريكاتير في عصر ما قبل التاريـــــخ: لقد كانت الفكرة المسيطرة على عقل الإنسان في عصر ما قبل التاريخ هي أنه عند قيامه برسم كائن حي فإن ذلك يضمن له السيطرة عليه وعدم الخوف منه، فكان إنسان العصر الحجري يرسم على جدران الكهوف الحيوانات التي يريد أن يضمن الإمساك بها، فكانت صورة الماشية المبالغ في تصويرها هي جزء من عملية اصطيادها .[41]، وكانت صور الحيوانات التي رسمها الإنسان الأول تمثل سخريته منها كرد فعل لخوفه من خطرها .[42]

والكثير من هذه الأعمال ما زالت موجودة في كهوف " التميرا " في شمال إسبانيا ويعتبر قدماء المصريين والإغريق والرومان من أوائل من استخدم الرسم الساخر على جدران الكهوف وذلك منذ أكثر من 3000 ثلاثة آلاف عام ، والآثار الباقية تدلنا على ما أراد القدماء تخليده، فلم يخلدوا ســـوى المتصل بالشؤون الدينية والحربية والسياسية ، فخلت آثارهم من الصور الهزلية التي أهملوا تخليدها إلا بعض الرسوم التي تراءت للإنسان في العصر الحديث متضمنة معنى من معاني الهزل .[43]

2- الكاريكاتير في الفن المصري القديم: إن دور الرسام المصري كما تؤكده الرسوم والصور الكاريكاتيرية والتي عثر عليها والموجودة في العديد من المتاحف في مصر كانت أكبر بروزاً في فترات الضعف والاضمحلال .

إن الرسوم الكاريكاتيرية الهزلية في مصر القديمة تتشابه مع مثيلاتها في العصر الحاضر والتي تميزت بروحها المرحة واستعانتها بالخيال واستخدام الرموز وصور الحيوانات في نقد الأوضاع الاجتماعية والسياسية أو السخرية منها خشية النقد المباشر الصريح، وأن اتقان الخطوط الكاريكاتيرية إلى الحد الذي يجعلها قريبة الشبه من روائع الفنون الكلاسيكية التي نراها على جدران المقابر والمعابد الفرعونية.

والرسوم الكاريكاتيرية التي عثر عليها كثيرة، وقد وجدت هذه الرسوم على ورق البردي وقطع الفخار وبعضها محفوظ في متاحف عالمية كثيرة مثل متحف تورينو بإيطاليا ومتحف ميونخ بألمانيا ومتحف بروكلين بنيويورك وكلها تدل على مدى قدرة وبراعة وأستاذية رسامي الكاريكاتير القدماء على التعبير الساخر واللجوء إلى الرموز بتصوير الحيوانات وخلع صفات الإنسان وسلوكه عليها في رسوم مبالغ فيها للدلالة على ما يريد أن ينبه إليه .[44]

3- الكاريكاتير في العصر القبطي : استمر تمثيل الصور الهزلية في مصر في العصر القبطي، ويوجد مثال بالمتحف القبطي بالقاهرة يمثل جـــزءاً من حائط مرسوم عليه صور تهكمية تمثل وفد من الفئران أمام رئيسهم القط وقد رفـــع أحدهم علماً أبيضاً رمزاً للتسليم .

وتغيّـــرت النسب في التصوير الديني في الكنائس وتميزت بالمبالغة حيث تبدوا أشكال وأجسام القديسين بالاستطالة المبالغ فيها، والتي تعتبر نوعاً كاريكاتيرياً ولكنه كاريكاتير رومانسي، حيث تبدو أشكال الناس والقديسين أكثر روحانية، وكأنها خطوط انسيابية تمتد من الأرض إلى سقف الكاتدرائيـــة إلى السماء في ابتهال إلى الله.(45)

4- الكاريكاتيـــر في الفـــن الكلاسيكـــي : كان التصوير الهزلي شائعاً في الفترات الهيلينية والرومانية، وكان ظهور الأقزام بوفرة في الرسوم وقطع النحت التي تهدف إلى إشاعة إحساس خاص بعالم كل ما فيه هزلي وغريب، إلا أن هذه الفترة تتميز بأن سماتها الكاريكاتيرية ظهرت في المسرح أكثر من الرسوم، وكان استخدام الأقنعة المبالغ فيها من ناحية الشكل لتوضع على الوجوه موضحة تقاطع وملامح الممثلين بشكل ساخر مضحك في المسرحيات التراجيدية والتمثيل الصامت.(46)، كما زين اليونانيون الأواني برسومات للممثلين والراقصين توضح حركاتهم وحركات المهرجين الرشيقة، ورسموا من يتابعوها بأفواه مفتوحة وعيون جاحظة، وكانت توضع هذه الأواني في منازل الأمراء وعلية القوم.

5- الكاريكاتـــير فـــي الفـــن الإسلامـــي : عندما أشرق الإسلام بنوره في العالم وقضي على عبادة الأصنام وما يتصل بها من عبادات وكانت أبرز وسائل العقيدة الجديدة تحطيم هذه الأصنام وإزالتها إلى جانب العقيدة الوحداوية الربانية ، ومن ثم نشأت كراهية طبيعية لكل عمل يذكر بهذا الماضي البغيض ، فظهـــر الفن الإسلامي بصياغة جديدة للفنون بعد أن تأدبت بآداب الإسلام وتشربت بروحه، فبدأت الفنون تستخدم للأغراض العلمية أو للزينة المباحة، فنجدهم يصورون مناظر الصيد والطرب والمناظر الطبيعية في المساجد والزخارف النباتية والهندسية على الأواني الملونة المرسومة والمكفتة برسومات رائعة عالية القيمة الجمالية والفنية .

وهنا نجد ارتباطاً واضحاً بين الأسطورة الشعبية وبين فنون التشكيل من حيث معالجة الأشكال الحيوانية المركبة أو الخرافية.

وإذا تتبعنا قصص ألف ليلة وليلة وهي تمثل المثالية والخيال الشعبـــي نجد نماذج كثيرة للأشكال التي تقع في دائرة الخيال كالطيور ذات الوجوه الأدمية والخيول المجنحة والحيوانات التي تتكلم وانتقال الصور الأدمية إلى صور حيوانية.

ولقد كانت المخطوطات التي تصور عرب القرن الثالث عشر الميلادي بوجوههم السامية في حياتهم اليومية تصويراً واقعياً سواء كان ذلك في الحقل أم في المدينة أم في الجامع ، وتميزت صور المخطوطات باهتمام الصور بدراســـة الشّخصيات المختلفة المرسومة، وإظهار التعبيرات المنعكسة على وجوههم، وباختلاف مدارس التصوير للمخطوطات فقد تميزت بالواقعية والدقة في تسجيل التفاصيل الدقيقة.

ويعتبر مخطوط " كليلة ودمنة " من أحســـن المخطوطات في القـــرن الثالث عشر الذي يصور قصص الهنود ، وقد ترجمها إلى العربية " ابن المقفع " ، ويصور هذا المخطوط أحداث تدور في عالم الحيوان بأسلوب رمـــزي واقعي ، ولكن بمسحة ساسانية بها شيء من الرمزيـــة المستخدمة في فن الكاريكاتير بالإشارة إلى الملوك بالحيوانات القوية وعرض الحيوانات الضعيفة عليهم قضاياهم ومتطلباتهم مجازاً عن الشعب في بساطة الخطوط والمبالغة إلى حد ما.

وهذه الرســـوم موجهة إلى الحكام بأسلوب رمزي تدور أحداثه في عالم الحيوان، خشية البطش والتنكيل بهم، ويغلب على هذه الرسوم روح الفكاهة التي تنحو نحو الكاريكاتير. (47)

6- الكاريكاتير فـــي العصـــر الوســـيط : لقد ظهر هذا الفن في القرن العاشـــر الميلادي حيث نجد أن الفنان قد شغل نفسه فيما وراء الطبيعة نفس انشغاله فيما هو طبيعي وعادٍ وأكثر، حيث الغريب والسامي يمتزجان امتزاجاً خالصاً ، حيث ظهرت كثير من الرسوم الشاذة على تيجان الكنائس تلك الرسوم التي تمزج الأخيلة الإنجيلية التي تكون من نوع جدي للغاية بأخيلة جريئة تظهر انتفاء العلاقة بينهما وبين البناء المقدس، فأحد هذه التيجان يبين قرداً يعزف على الكمان يواجهه حمارا يمسك بكتاب للموسيقى بين حوافره .(48)

ويتكرر ذلك فنجد على تيجان أعمدة أحـــد الكاتدرائيات نحتا حجريا بارزا للحيوانات تعزف الموسيقى من القرن " الرابع عشـــر" حيث نجد أحـــد الحيوانات يعزف على الكمان ، حيث يشبه الملاك أو القديسين بـــرأس كبش وجســـم بشري وأرجل حيوانية مما يدل على سيـــطرة تلك النزعة الساخـــرة في تلك الفترة .

ونجد - أيضاً – براعـــة " كراتشـــي " Carracci في رسم لمغني الأوبرا وزوجه، وبالرغم من أنه رســـم كروكي سريع ؛ لكنه في واقعية شديدة ، حيث عبر عن شخصية المعني وزوجه بطريقة ساخـــرة مثيرة للدهشـــة قريبة الشبه من الخطوط الأساسية للشخصيتين وليست فيها عنصر الطفولة المتعمدة .(49)

وتوضـــح مدرسة كراتشي مدى الدقـــة والبراعة في إبـــراز الخصائص الكاريكاتيرية للأشخاص والرؤوس بشكل ساخـــر ولصيق بالتطور الوظيفي للكاريكاتير.

7- الكاريكاتيـــر فـــي عصـــر النهضة : لقد أسهم عصر النهضة الإيطالية في الإرهاصات الأولى للكاريكاتير وتطـــوّر بمعناه المعروف ، وخاصة لـ (يوناردو دافنشي) بعد ظهور المطبعة التي تمكن من تعدد النســـخ في الرســـم ، وقد سميت مجموعاته الكاريكاتيرية الأولى بـ : كاريكاتـــورا ، وتعدّ من أهـــم الأعمال الكاريكاتيرية ، فالرســـم الذي يمثل خمس رؤوس ذات ملامـــح مضحكة في بعض المواقف وحياتهم الصحيحة في دراســـة كلاسيكية بالغة الدّقـــة.

ولم يكن دافنشي وحده يمثل إسهام عصر النهضة في الكاريكاتير، فقد أبـــرز (ميكل أنجلو) التشوه في الجسم الإنساني كـــرد فعل لسقوط أوهامه الخاصة في مواجهة العالم، وفي مواجهة مثالية لعصر النهضة.

ونســـخ " تيتيانو Titiano بعض الصور القديمة بأن أعاد تصويرها، ومن ذلك صور تمثال (اللاكزون) المشهور على وجه يدعو إلى الضحك ، إذ استبدل ذلك التمثال بقردة تحقيراً لشأنهم .(50)

غير أن التصوير الهزلي لم ينشأ إلا في نهاية القرن السادس عشر ، ولعل أشهر مؤسس هذا الفن هم أخوة كراتشي Caratcci school الذين نبغوا في بولينيا " فهنيبال كراتشي (Hannibal Carracci) له مجموعة من الرسوم يبالغ فيها في شكل الأجسام والرؤوس بشكل يقربه للغاية من الكاريكاتيرية تحتفظ بالتشابه مع الشخص، وهي أسلحة يستخدمها للانتقام أو التعبير عن آرائه .

8- فـــن الكاريكاتير في الوطـــن العربـــي: لقد ظهر الفن الساخر في الوطن العربي من خلال الرسوم الموجودة على جدران الكهوف في عهد الفراعنة في مصر، وهم أول من استخدم الفن للسخرية والتهكم على الحكام ونقدهم ونقد الحياة الاجتماعية، وقد لاقى هذا الفن رواجاً وقبولاً كبيراً بين الأوساط الشعبية .

وقد وجدت رسوم يمكن اعتبارها رسوم ساخرة في العصر الأموي على جدران قصر "عمرا " بالأردن.

إن وجود هذه الصور الجدارية تدل دلالة واضحة على أن فن السخرية كان متداولاً بكثرة؛ وذلك لإدخال البهجة والمرح وتلطيف الأجواء.

وفي العصر الحديث لم يظهر الفن الساخر كثيراً بسبب العزلة التي فرضها العثمانيون على أرجاء الوطن العربي كافة خلال أربعة قرون من الزمن.

وفي بدايات القرن العشرين ظهرت مجموعة من الفنانين الذين جاءوا من الشام إلى مصر ثم توالي ظهور الفنانين وقاموا بتأسيس فن عربي قائم بذاته من أمثال يعقوب صنوع ، ومحمد عبد المنعم ، وعبد السميع عبدالله ، وصلاح جاهين ، وجورج البهجوري ، وصاروخان ، وبهجت عثمان ، وغيرهم من الأسماء في مصر .[52]

ومن الأسماء في بلاد الشام توفيق طارق على الأرناؤوط ، وعلي فرزات، وفي سوريا : محمود كحيل ، وملك سليمان، وفي لبنان: ستافراجبر ، وناجي العلي من فلسطين ، وفي العراق : غازي الخطاط وليد نايف ، ومؤيد نعمة ، وفي المغرب العربي ظهرت أسماء مثل : محمد الزواوي ، وفؤاد الكعبازي من ليبيا ، و العربي صيان من المغرب ، و رشيد فاسي من الجزائر ، ولطيفة أهلي من الامارات .

وظهرت على غرار هذا التطور العديد من الصحف والمجلات والجرائد ولكن لم يكتب لها النجاح والاستمرار بسبب نقدها اللاذع للأوضاع في البلاد في النصف الأول من القرن العشريــن في مصر وخاصة عندما كانت تظهر الرغبة الملحة من عامة الشعب إلى الاستقلال والتحرر من السيطرة الأجنبية، غير أن فن الكاريكاتير الحديث جاء على يد الأجانب.[53]

وكان لدخول الفنانين المصريين مع الأجانب في فن الكاريكاتير طوروه وأعطى ثمرة من ثمار النهضة الحديثة المتحررة ، حيث صدرت أول مجلة "الكشكول" لصاحبها سليمان فـــــوزي ، والتي اعتمدت على الكاريكاتير اعتماداً كلياً، كما رافقتها في نفس المضمار مجلة "خيال الظل" وكان من أشهر رساميها "سانتس " Santes " "ورفقي " وكذلك مجلة "روز اليوسف " فقد اعتمدت هي - أيضاً - على فن الكاريكاتير بعد أن كانت تلم بالمواضيع الصحفية المكتوبة.

وبعد ذلك توالت المجلات بالظهور وبروز فن الكاريكاتير على صفحاتها حتى بداية الحرب العالمية الثانية التي كانت بمثابة الفيصل بين مرحلتين من حياة فن الكاريكاتير المصري ، حيث كانت تحجب الأسوار والمواقع إنتاج الفنانين، وكذلك الإنتاج العلمي

عنهم، وذلك بوجود الألوف من قنوات التحالف في مصر، مما أتاح لإنتاج الفنانين المصريين أن يظهروا إلى الوجود ، وأن يطلعوا على الكتب والنشرات والطبعات التي تنهال عليها لرفع معنويات القوات العسكرية .[54]

ومما لاشك فيه أن تطور الفن الساخر في العالم كانت ليبيا حلقة من حلقات هذا التطور الذي يبرز فيه العديد من الفنانين بأساليبهم الفنية والإبداعية المتطورة.

وبالرغم من تعاقب الحقبات التاريخية على ليبيا وما لها من آثار على الوطن والمواطنين فلم تلمس أية ظهور للسخرية إلا من خلال الأدب الشعبي الليبي والذي تمثلت فيه أرقى أنواع السخرية الشعبية وأقربها إلى النفوس بالرغم من تعاقب الاستعمار على أراضيها، فكانت الأمثال الشعبية الساخرة والأغاني والأهازيج المفعمة بالطرفة والتندر سائدة بين الأوساط الشعبية الليبية.

وبظهور الصحافة في ليبيا بدأ الاهتمام طفيفاً بهذا الفن ، فقد ظهرت أول صحيفة ساخرة عام 1908 م بعنوان : أبو قشة " لصاحبها الصحفي التونسي " محمد الهاشمي المكي، وقد كانت تصدر بتونس، وبعد أن أغلقت من قبل الاستعمار الفرنسي، اضطر صاحبها لنقلها إلى ليبيا، وقد اهتمت بالشؤون السياسية والاجتماعية ونقل الأخبار وأمور التدريس والوعظ والإرشاد ودافعت بحرارة عن رسالة الصحافة وحرية التعبير، كما تطرقت إلى أمور الأدب والفن، واستخدمت اللهجة العامية، وفي أحيان كثيرة بأسلوب ساخر ناقد، إلا أنها لم تستخدم الرسوم في نقدها ذلك، بل اقتصرت على الكلام المكتوب، وقد صدرت في عام 1929 م صحيفة "الحقيقة " عن إدارة العدل باللهجة المحلية ، وهي جريدة فكاهية " ، ومما يجدر ذكـــره أن الرسوم التي كانت تنشرها هي لرسّـــام إيطالي يدعى " بـــوط Boot " الذي استغلت الصحيفة وجوده في طرابلس ، وطلبت منه إعداد بعض الرسومات الساخرة.[55] ، وبقى الحال على ذلك حتى عام 1964 م بصدور مجلة "المرأة " ، وهي مجلة رياضية فكاهية أدبية ، مديرها المسؤول " مصطفى العجيلي "، بينما ترأس تحريرها فؤاد الكعبازي الذي يعـــد مؤسس الرسم الساخر في ليبيا ، وأول رسام ينشـــر على الصحف ، وتميزت رسوماته بتعدد الخطوط ، كما يغلب على رسومه أسلوب السخرية وطابع الفكاهة والتندر والبحث في عيوب الناس ، وربما يرجع ذلك إلى طبيعة المجتمع آنذاك ومساحة الحرية الممنوحة للصحافة من قبل الأنظمـــــة المسؤولة .[56]

وقد نشط هذا الفن في بداية الخمسينيات بظهور عدة صحف اهتمت بفن الكاريكاتير وأفردت له صفحات ومساحات بين طياتها مثل صحيفة شط الحرية وصحيفة الزمان

والعمل و الرائد والطليعة والنور والليبي، وكان من أبرز رواد هذه المرحلة الرسام محمد شرف الدين وعبد الحميد الجليدي ومحمد الزواوي.

وفي نهاية السبعينات ظهر فنان جديد على الساحة هو الرسام علي البكوش الذي عمل بمجلة الأمل عام 1979 م ثم انتقل إلى صحيفة الجماهيرية عام 1993 م .

وفي بداية الألفية الجديدة صدرت صحيفة الزحف الأخضر وهي صحيفة أسبوعية وقد اعتمدت منذ صدورها على الرسم الساخر .

ومن خلال صدور هذه الصحف تعددت أسماء الرسامين مثل: عمر بالحاج و سالم العدل والعجيلي العبيدي وجمال الترهوني وعوض القماطي ومحمد قجوم وخير المسلاتي و فتح الله ربيع والتيجاني أحمد ومحمد مخلوف وعلي ناصر وأحمد نجيب وأحمد أبو قيلة وعياد هاشم و محمد قريفة.

ومما يجدر الاشارة إليه - أيضاً - أن جميع رسامي الخمسينيات والستينيات والسبعينيات توقفوا عن مسيرتهم الفنية فيما عدا الفنان محمد الزواوي الذي استمر في مزاولة نشاطه الفني الساخر بالصحف المحلية الليبية والصحف العالمية مثل صحيفة العرب الصادرة بلندن.[57]

نتائـــــج البحث:

- فن الكاريكاتير يعد من أكثر الفنون تأثيراً وتعبيراً عن المواقف من أي تعبير فني آخر.
- يعبر فن الكاريكاتير عن لقطة سريعة بتعبير متميز للشخصيات المستخدمة في الرسم.
- يعد فن الكاريكاتير تسجيلاً للعادات والتقاليد والطبائع في الحضارات المختلفة.
- يحمل فن الكاريكاتير في مضمونه تعبيراً عن رأي ما إلى المتلقي، أو فكرة يريد توضيحها بكل يسر وسهولة.
- الكاريكاتير في أساسه رسم واضح المعالم بغض النظر عما يصاحبه من تعليق.
- رسوم الكاريكاتير مشحونة دائماً بفكرة الفنان وعواطفه اتجاه موقف أو حدث معين وليد اللحظة.
- إذا لزم نص أو تعليق مع الرسم الكاريكاتيري فيجب أن تكون تلك العبارات جزء من الرسم الكاريكاتيري.
- يعتبر فن الكاريكاتير فناً مكتملاً؛ لأنه يتبنى لغة التشكيل، وهي لغة تعبيرية عالمية ليس لها حدود أو قيود كالموسيقى يستطيع تذوقها أي إنسان في العالم بغض النظر عن اللغة وعادات المجتمعات وتقاليده.

- فن الكاريكاتير يشبه كثيراً لفن الإنسان البدائي القديم ورسومه على سفوح الجبال وجدران الكهوف والمغارات التي كان يأوي إليها في العصور القديمة.
- فن الكاريكاتير يمكن أن يشعل فتيل الحرب إذا لم يحسن استخدامه، فهو يستخدم للسلم والحرب في جميع الأحوال.

التوصيات :

1- ضـــــرورة الاهتمام بفن الكاريكاتير واعتباره رافــدا من روافد الثقافة والمعرفة وتوجيه سلوك الإنسان إلى الأفضل.
2- توجيه الفنانين والهواة إلى ضرورة خوض غمار الرسم الكاريكاتيري وتحميله مضامين أفكارهم ووجهات نظرهم في الأمور المختلفة .
3- العمل على جعل فن الكاريكاتير أحد فروع الرسم التعبيري في الفن التشكيلي يدرس في كليات الفنون الجميلة والتشكيلية بالجامعات الليبية.
4- زيادة التركيز على فن الكاريكاتير في المجلات والصحف اليومية الصادرة عن وزارة الإعلام والثقافة الليبية .
5- الاهتمام بالدراسات والبحوث المتعلقة بفن الكاريكاتير وتشجيعها والاهتمام بفنانيه، وزيادة صقل هواياتهم وتأكيدها .
6- تخصيص جناح لفن الكاريكاتير بالمعارض العامة والخاصة، وداخل قاعات المتاحف، باعتباره منهلا من مناهل الثقافة، ونافذة يطل من خلالها المشاهد عن عادات وتقاليد وأحداث المجتمع الجارية والتاريخية.

الهوامـــــــش:

1- شوقي الدسوقي : رسوم دمييه الهزلية الكاريكاتيرية ومثيلاتها في مصر ، رسالة ماجستير ، كلية الفنون الجميلة ، جامعة المنيا ، 1993 م ص 9.
2- عبدالعظيم عبدالسلام الفرجاني : طرق تعلم التربية الفنية ، دار المعارف ، مصر ، ط1 ، 1995 م ، ص 47 .
3- نهى محمود درّاج : الرموز المصرية القديمة ، مطابع الدار الهندسية ، القاهرة ، ب ، ط ، 2003 م ، ص 3 .
4- راوية عبد المنعم عباس : الحس الجمالي وتاريخ الفن ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، ب ت ، ص 230 .
5- رمضان الصباغ : الفن والقيم الجمالية بين المادية والمثالية ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ب ط ، 2001 م ، ص 191 .
6- سمير تونا : موجز تاريخ الفن " النظرية الجمالية " : دار العصر للنشر والتوزيع ، مسقط ، ب ط ، 1992 م ، ص 8 .
7- أحمد شلبي : الأحكام التقويمية في الجمال والأخلاق ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، الإسكندرية ، ب ط ، ب ت ، ص 375 .

8- إسماعيل شوقي : مدخل إلى التربية الفنية ، مطبعة زهراء الشرق للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط2 ، 2000 م ، ص 6 .
9- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، الشركة العالمية للكتاب ، دار الكتاب المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ب ط ، ب ت ، ص 435 .
10- دينا أحمد نفادي : الفلسفة التجريدية التعبيرية في تصوير الفن الحديث والتقنية الابتكارية في تصميم المعلقات النسجية ، رسالة دكتوراه ، كلية الفنون التطبيقية ، جامعة القاهرة ، 2006 م ، ص 26 .
11- رحاب رجب عيسى : التكوين التراكيبي لمفردات التشكيلية كمدخل لإبداع أشكال جديدة في التصوير المعاصر ، رسالة ماجستير ، جامعة حلوان ، كلية التربية الفنية ، 2000 ، ب ط ، ص 147 .
12- هناء مسعود خراز : المداخل الفلسفية والفنية والتعبيرية للتصوير الألماني في القرن العشرين ، رسالة دكتوراه ، جامعة حلوان ، كلية التربية الفنية ، ب ط ، 2005 ، ص298.
13- عز الدين إسماعيل : الفن والإنسان ، هيئة الكتاب المصرية ، ب ط ، 2003 م ، ص 190 .
14- رحاب رجب عيسى ، مرجع سابق ، ص 149 .
15- محمد مصطفى زيدان : الدوافع والانفعالات ، دار عكاظ للنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1989 م ، ص 90 .
16- فاروق وهبة : حوارات في لغة التشكيل ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط 1 ، 2007 م ، ص 37 .
17- نرمين حسن العلايلي : التكوين في التصوير في النصف الأول من القرن العشرين ، رسالة ماجستير ، كلية الفنون الجميلة ، جامعة الإسكندرية ، ب ط ، 2005 م ، ص 71 .
18- Edward Lucie , Smith : The art of caricature , p7 .
19- Encyclopedia , pritannica : roly , p 905 .
20- Encyclopedia Americana : Americana cor , p 660 .
21- Encyclopedia Universaia , p 955 .
22- Grand Lavousse , encyclopedia: Librithe , arouse , vol . 2 .
23- عفيف البهنسي ، معجم مصطلحات الفنون ، ص 23 .
24- سهيل إدريس ، جبور عبد النور : المنهل قاموس " فرنسي – عربي " ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 7 ، 1983 م ، ص 352 .
25- منير البعلبكي : المورد القريب ، ص 7 .
26- زكريا إبراهيم : مقال في مجلة الهلال " لماذا نضحك عند الفكاهة " ، 1966 م ، ص 90 – 91 .
27- زكريا إبراهيم : مرجع سابق ، ص 4 – 17 .
28- زكريا إبراهيم : مرجع سابق ، ص 90 – 91 .
29- عمرو عبد السميع : الكاريكاتير السياسي المصري في السبعينات ، رسالة دكتوراه ، كلية الإعلام ، جامعة القنطرة ، 1983 م ، ص 23 – 24 .
30- Roy Claude , et autres : La Caricature , p 10 .
31- Roy Claude , et autres : op cit , p 14 .
32- Philippe , RAobert : Political graphics , p 1-3 .
33- عمرو عبد السميع : مرجع سابق ، ص 20 .
34- Clay Jean : form impressionism modern art , p 4 .

35- Timothy Helton : Picasso , p 52 – 225 .
36- Edward Lucie Smith : op . cit , p 134 .
37- عمرو عبدالسميع : مرجع سابق ، ص 23 – 24 .
38- شوقية هجرس : فن الكاريكاتير ، الدار المصرية اللبنانية ، ط 1 ، 2005 ، ص49.
39- فارس أنطوان قرة بيت : أثر الكاريكاتير في تقنيات أفلام الرسوم المتحركة ، رسالة دكتوراه ، 1988 م ، ص 196 – 198 .
40- بهجت عثمان : حكومة وأهالي وخلافة ، عن جريدة الأهالي رقم 18 ، مارس 1987م .
41- Janson , H , W : A History of art , p . 32 – 33 .
42- منى جبر : فن الكاريكاتير ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، المطبعة الثقافية ، 1971 م ، ص 7 .
43- كمال الملاح ، رشدي إسكندر : خمسون سنة في الفن ، دار المعارف ، القاهرة ، 1962 م ، ص 155 .
44- عمرو عبد السميع : مرجع سبق ذكره ، ص 11 .
45- جورج البهجوري : فن الكاريكاتير ، دار الرشيد للنشر ، وزارة الثقافة والإعلان ، بغداد ، ب ط ، 1992 م ، ص 2 .
46- شوقي الدسوقي يوسف : مرجع سابق ، ص 29 .
47- نعمت إسماعيل : فنون الشرق الأوسط والعصور الإسلامية ، ط 5 ، 1989 ، ص 198 .
48- عمرو عبدالسميع : الكاريكاتير السياسي في مصر في السبعينات ، مرجع سابق ، ص 31 .
49- Edward Lucie , Smith : op , cit . p 45 .
50- كمال الملاخ ، رشدي إسكندر : مرجع سابق ، ص 106 .
51- Roy , Claude , et Autree : op , cit , p 32 .
52- حنان عثمان : الكاريكاتير في المآساة الضاحكة ، 2002 م ، www.islamonline.net .
53- زهدي العدوي : فنان مع سبق الإصرار والترصد ، مجلة الشموع ، العدد الرابع عشر ، يوليو / سبتمبر ، 1989 م ، ص 45 .
54- زهدي العدوي : الكاريكاتير فارس الوعي الجماهيري ، مقالة في مجلة شل ، العدد الرابع ، يناير 1992 م ، ص 137 .
55- عبد العزيز الصويمي : بدايات الصحافة الليبية ، 1966 – 1922 م ، ليبيا ، طرابلس ، دار الجماهيرية سابقاً للنشر والتوزيع والإعلان ، ط 1 ، 1989 م ، ص 9 .
56- علي الأصفر : تاريخ الرسم الساخر في ليبيا ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، ليبيا ، 1981 م ، ص 25 .
57- علي مصطفى المصراتي : أبو قشة وجريدته في طرابلس الغرب ، دراسة تحليلية (1908 – 1911 م) ، ليبيا ، طرابلس ، 1961 م .